كتابة التاريخ العربى
الدروس المستفادة من تجارب كتابة التاريخ الإفريقي
ورقة عمل

أ . د . عبد الملك عودة

فى مناسبة اجتماع الخبراء الخاص بمشروع « تاريخ الأمة العربية » . طلب منى أ . د . أحمد يوسف أحمد مدير معهد البحوث والدراسات العربية إعداد ورقة عمل فى موضوع : الدروس المستفادة من تجارب كتابة التاريخ الإفريقى .

وفى البداية أتفق مع أ . د . أحمد يوسف أحمد فى صياغته للعنوان ، لأنه يكشف عن عدم وجود تماثل أو تطابق بين مسيرة ومكونات التاريخ العربى العام والتاريخ الإفريقى العام ، وإن كان لا ينفى وجود تداخلات وتفاعلات بينهما على مستوى المكان والزمان بالمعنى الإقليمى الجهوى وبالمعنى الحضارى الإنسانى فى بعض مناطق القارة الإفريقية .

(١)

إن مشروعات وتجارب كتابة التاريخ الإفريقى متعددة ومتنوعة ، جرى بعضها لحساب جهات أكاديمية أوروبية وأمريكية ، وجرى البعض الآخر فى داخل القارة الإفريقية ، ونشير فى هذا المقام إلى مشروع « الإنسيكلوبيديا

أفريكانا » الذى تبناه الرئيس الأسبق قوامى نكروما عقب إعلان استقلال دولة غانا عام ١٩٥٧، ولكن الصفة الأساسية التى اتصفت بها كل المحاولات والمشروعات الإفريقية السابقة أنها انتهت إلى مطبوعات صدرت فى صور جزئية أو إقليمية، أو لم تستكمل كما أرادها واضعو المشروعات. ومن هنا يحتل مشروع اليونسكو لكتابة تاريخ إفريقيا العام مكانا متميزا من حيث التصور والتخطيط والتنفيذ، فقد بدأت فكرة المشروع فى عام ١٩٦٥ وتبنته منظمة اليونسكو حتى صدرت مجلداته الثمانية تباعا منذ عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٩٣ باللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية ولغات أخرى، وإضافة إلى العمل الرئيسى فى هذا التاريخ، فقد أصدرت اليونسكو دليلًا للمصادر الرئيسية المخطوطة والمنشورة فى تسعة مجلدات، كما أصدرت سلسلة من دراسات ووثائق تاريخ إفريقيا العام، وهى دراسات تكميلية فى بعض المسائل والجوانب المتعمقة من التاريخ العام، وقد اطلعت على ست دراسات منشورة مما صدر، وسوف ترد عناوين هذه الموضوعات فى ختام الورقة.

(٢)

إن الدراسة المتأنية لكتاب **تاريخ إفريقيا العام (اليونسكو) بمجلداته الثمانية** توضح – فى تقديرى – وجود موضوعين أو درسين يستحسن أن يكونا تحت نظر ومحل تفكير وتقييم لجنة الخبراء، وهما **التنظيم ومبادئ عمل الفريق**، إذ اعتقد أن هذين الموضوعين هما السبب الرئيسى فى منح هذا

المشروع فرصة الميلاد والنمو، فى حالة أو صفة طبيعية، حتى اكتمل إصدار مجلداته الثمانية. لأن الفترة الزمنية ما بين ١٩٦٥ حتى ١٩٩٣ هى فترة طويلة، خاصة إذا تذكرنا أنها كانت فى وقت الحرب الباردة والصراع الدولى والتأثير الذى تركته بالسلب على أعمال ونشاطات المنظمات الدولية بصورة أو بأخرى، ومن ناحية ثانية فإن استكمال هذا المشروع وتنفيذه مطبوعًا فى الأسواق استلزم حشد وتنسيق أعمال وكتابات وإسهام مئات من الكتاب المتخصصين على مستويات منوعة فى جمع المعلومات وتصنيفها وصياغتها ومراجعتها فى صورتها النهائية للصدور، وهؤلاء الكتاب والمتخصصون يتوزعون بين العديد من الجنسيات والمواطنة والديانات واللغات، وينتسبون إلى قارات إفريقيا وآسيا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، ومن بينهم المؤرخون والجغرافيون والأثريون واللغويون والاقتصاديون ودراسو العلوم السياسية والعلاقات الدولية والإقليمية ... إلخ.

وإن إلقاء نظرة سريعة على أسماء المؤلفين فى ختام كل مجلد توضح المستوى الرفيع لتخصص كل منهم فى ميدانه والتنوع الواسع لهذه التخصصات.

(٣)

فى إجمال أعرض **أهم معالم المراحل والمبادئ والقواعد** التى حكمت وضبطت ونظمت هذا العمل الضخم بوجه عام، **والتى رتبت ونسقت علاقات العمل المشترك** فى فرق عمل لكل مجلد على مستوى العلاقات

الإنسانية ومستوى العلاقات المهنية ، بصرف النظر عن تنوع المعتقدات الفكرية والمدارس الفرعية المتخصصة فى داخل كل تخصص عام :

أولًا :

١ – إرساء الأسس النظرية والمنهجية للكتابة ، والاتفاق على مراحل التوثيق والتخطيط .

ومن بينها الأنشطة والزيارات الميدانية وأساليب التعامل مع التراث المنقول والشفهى والمطبوع ، وزيارة مراكز التوثيق والمكتبات وجمع المخطوطات ، وهذا ما أشرت إليه من أن دليل المصادر صدر فى تسعة أجزاء .

٢ – تنظيم مؤتمرات ولقاءات متنوعة المستويات والمشاركة لمناقشة كل الأفكار والقضايا حول المنهجية والخط العام للمشروع ، حتى توصل الجهد المشترك إلى صورة التقسيم والتفصيل وتحديد مشكلات الصياغة ولغات الكتابة ... إلخ .

٣ – هذه الفترة الزمنية استغرقت الأعوام من ١٩٦٥ حتى ١٩٧١.

ثانيا :

١ – تشكيل اللجنة العلمية الدولية لتحرير كتاب تاريخ إفريقيا العام

عام ١٩٧١ من ٣٩ عضوا يختارون بأسمائهم وبصفاتهم الشخصية وقيمتهم العلمية فى مجالات التخصص المنوعة ، واشتراط أن يكون ثلثا هؤلاء الأعضاء من قارة إفريقيا بمعناها الذى أقرته منظمة الوحدة الإفريقية ، وأن يكون ثلث الأعضاء المتبقى من قارات أخرى غير إفريقيا ، وبداخل اللجنة العلمية

يشكل مكتب اللجنة العلمية الدولية .

٢ - اعتمد اليونسكو النظام الأساسى لعمل اللجنة وتنظيم العمل مع تشكيل سكرتارية دائمة للجنة العلمية الدولية مقرها فى باريس حيث مقر المنظمة الدولية .

٣ - يحتوى هذا النظام الأساسى على الأهداف العامة والمبادئ التوجيهية للمشروع كالتالى :

- هدف الكتاب هو بلوغ أرفع مستوى علمى ممكن ، وإن كان لايتوخى شمول كل شيء فى التاريخ ، ويجمع بين عناصر شتى دون تعصب لرأى معين ، وسوف يتكون الكتاب من عرض للمشكلات وتوضيح الأوضاع الراهنة للتيارات والمعارف الكبرى ، ولا يتقاعس عن التنويه بالتباين بين المذاهب والآراء تجاه أحداث هذا التاريخ .

- الكتاب يعتبر إفريقيا كلا واحدا حتى تظهر العلاقات التاريخية بين مختلف نواحى القارة ، على الرغم من التقسيمات الفرعية التى ظهرت فيما صدر أو نُشر من مؤلفات وكتب .

- التاريخ المنشور فى الكتاب هو تاريخ حضارات وأفكار ومجتمعات ومؤسسات ويستند فى العرض على مصادر متنوعة ومتعددة ، كما يجب أن تكون النظرة فى الكتابة أساسا إلى الداخل لمعرفة رؤية المؤلفين الأفارقة لحضارتهم ، وهذا اتجاه عام جديد يأخذ به هذا المشروع لرؤية الأشياء من الداخل .

٤ – وبالإضافة إلى ما سبق، يحدد النظام الأساسى والوثائق الرئيسية فى المشروع محددات وتنظيم الكتابة والصياغة النهائية وخريطة العلاقات بين المشاركين، واستطرادا تجدر الإشارة إلى أن بعض النقد قد صدر بشأن الإجراءات التنظيمية التى تم إقرارها بأنها طويلة ومعقدة. ولكن المسئولين والقائمين على العمل منذ بدايته حتى نهايته يقولون إنها لازمة لضمان أكبر قدر من الدقة العلمية والموضوعية فى العرض وتسجيل وجهات النظر والآراء المتنوعة، ويضربون أمثلة على أن اللجنة العلمية الدولية قد رفضت أحيانا بعض المخطوطات لبعض الفصول أو للمشاركة فى مجلدات الكتاب، أو طلبت إجراء تعديلات هامة أو إعادة تحرير الفصل أو تكليف مؤلف آخر بالعمل، وقد ظهرت هذا الآراء بدون إشارة لأى أسمـاء بذاتها أو مجلدات بعينها، حرصًا على المستوى الرفيع الأخلاقى المهنى لمبادئ عمل الفريق. ومعالم التنظيم هى:

– يعين مشرف رئيسى (محرر) لكل مجلد يساعده عند الاقتضاء واحد أو اثنان من المشرفين المعاونين، ويناط بالمشرف إعداد المجلد وفقا للقرارات التى تتخذها اللجنة العلمية الدولية والخطط التى تضعها، ويكون المشرفون مسئولين من الناحية العلمية أمام اللجنة العلمية الدولية أو أمام مكتبها فيما بين دورات الانعقاد عن مضمون المجلدات وعن الصياغة النهائية للنصوص وعن الصور، وبوجه عام عن جميع الجوانب العلمية والفنية للتاريخ، ويعطى مكتب اللجنة العلمية الدولية مسئولية المراجع الأخير لإقرار المخطوط بصفة نهائية.

- يحتوى كل مجلد على حوالى ٣٠ فصلا، ويحرر كل فصل مؤلف رئيسى يساعده عند الاقتضاء معاون أو اثنان، واللجنة العلمية الدولية هى التى تختار المؤلفين بعد الاطلاع على مؤهلاتهم وخبراتهم، على أن يراعى فى اختيار المؤلفين أن يكونوا من جميع مناطق إفريقيا، أو من المناطق التى كانت لها علاقات تاريخية أو ثقافية مع القارة الإفريقية.

- بعد أن يعتمد المشرف نصوص المجلد، يرسل إلى جميع أعضاء اللجنة العلمية الدولية لكى يقدموا تعليقاتهم، ويجوز أن يعرض المجلد على لجنة خاصة لقراءته، وتكلف هذه اللجنة بإجراء تحليل متعمق لمضمون نصوص المجلد وشكله.

- بعد هذا يعرض المجلد على مكتب اللجنة العلمية الدولية لإقراره بصفة نهائية.

(٤)

ما سبق يوضح إختيارى أو **إعطاء الأولوية فى تفكيرى لموضوعى التنظيم ومبادئ عمل الفريق** لأن القضية ليست فقط أسماء وبشر وتخصصات ومعارف فى قطاعات ونواح وموضوعات التاريخ العام لإفريقيا، إنما الأساس هو تسيير وترتيب وتنسيق وتفاعل هذا الحشد من العلماء الثقات فى صورة فريق عمل لكل مجلد وفى صورة فرق عمل للمجلدات الثمانية، أى على مستويات العمل الكلى وعلى مستويات العمل الفرعى والجزئى، مع ضبط العلاقات العلمية المتبادلة فى داخل كل فريق وفى الإطار العام الذى

يجمع كل فرق العمل والمشرفين وأعضاء اللجنة العلمية الدولية، وفى هذا المقام نتذكر أن هذا المشروع كان ينفذ فى إطار أهداف وغايات حددتها منظمة اليونسكو، ورصدت الميزانيات للإنفاق على تحقيقها وتنفيذها، وهى منظمة مسئولة أمام مؤتمرها العام وأمام الدول التى تدفع الأنصبة فى الميزانية السنوية.

وفى الختام فإن النجاح الذى تحقق بإصدار كتاب تاريخ إفريقيا العام (اليونسكو) فى مجلداته الثمانية ونواتجه الفرعية ونشرها بأكثر من لغة - يستحق التقدير ويسجل الإنجاز والإضافة العلمية التى تحققت، وإن كان هذا لا يمنع أو يصادر محاولات ومشروعات أخرى فى المستقبل تستكمل ما قد يوجه إلى الكتاب من نقد أو تكتشف ما فيه من نقص، وسابقا قال المفكر العربى ومازال القول صحيحا: «وهذا من أبلغ العبر، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر».

التعريف بالمجلدات الثمانية

المجلد الأول: المنهجية وعصر ما قبل التاريخ فى إفريقيا

٢٨ فصلا - عدد المؤلفين ٣٢ والمشرف د. كى زيربو

المجلد الثانى: الحضارات القديمة فى إفريقيا

٢٩ فصلا - عدد المؤلفين ٣٢ والمشرف د. جمال مختار

المجلد الثالث : إفريقيا من القرن السابع إلى القرن الحادى عشر

٢٨ فصلا – عدد المؤلفين ٣٥ والمشرف أ. محمد الفاسي

المجلد الرابع : إفريقيا من القرن الثانى عشر إلى القرن السادس عشر

٢٧ فصلا – عدد المؤلفين ٢٩ والمشرف د. نياني

المجلد الخامس : إفريقيا من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر

٢٩ فصلا – عدد المؤلفين ٣٦ والمشرف د. أوجوت

المجلد السادس : إفريقيا فى القرن التاسع عشر حتى الأعوام الثمانينيات منه

٢٩ فصلا – عدد المؤلفين ٣٥ والمشرف د. أدى اجابي

المجلد السابع : إفريقيا فى ظل السيطرة الاستعمارية (١٨٨٠ – ١٩٣٥)

٣٠ فصلا – عدد المؤلفين ٤٠ والمشرف د. بواهن

المجلد الثامن : إفريقيا منذ عام ١٩٣٥

٣٠ فصلا – عدد المؤلفين ٣٣ والمشرف د. على مزروعي

مطبوعات من سلسلة ووثائق تاريخ إفريقيا العام

١– العلاقات التاريخية والثقافية والاجتماعية بين إفريقيا السوداء والعالم العربى من عام ١٩٣٥ حتى الوقت الحاضر – أوراق وتقرير ندوة عقدت فى مقر اليونسكو عام ١٩٧٩ (صدر عام ١٩٨٤) .

٢ – إفريقيا والحرب العالمية الثانية – أوراق وتقرير ندوة عقدت فى بنغازى بالجماهيرية الليبية عام ١٩٨٠ (صدر عام ١٩٨٥) .

٣ – تصفية الاستعمار فى الجنوب الإفريقى والقرن الإفريقى – تقرير عن مناقشات الخبراء فى ندوة عقدت فى بولندا عام ١٩٧٨ (صدر عام ١٩٨١) .

٤ – تجارة الرقيق الإفريقى من القرن ١٩ – أوراق ندوة عقدت فى هايتى عام ١٩٧٨ (صدر عام ١٩٧٩) .

٥ – العلاقات التاريخية عبر المحيط الهندى – أوراق ندوة عقدت فى موريشيوس عام ١٩٧٤ (صدر عام ١٩٨٠) .

٦ – دور حركات الطلبة الأفارقة فى التطور السياسى والاجتماعى لإفريقيا من عام ١٩٠٠ حتى عام ١٩٧٥ – دراسات ومقالات أعدت لاستكمال دراسة هذه الفترة من تاريخ إفريقيا (صدر عام ١٩٩٤) .

وهذه السلسلة بلغ عدد المطبوعات الصادرة فيها ١٢ مطبوعا حتى عام ١٩٩٤ .

* * *